فمن المحال أن تكون هناك صعوبة فى نظام أو غيره ، ولن تضحى شخصية الفرد او الأفراد بعد .

الاختلاف فى الشخصية

كما أن الناس يختلفون فى الذكاء والميول الفطرية كذلك يختلفون فى الشخصية ؛ فبينما تجد هذا قوى الشخصية قد تجد ذاك خاملاً ضعيف الشخصية ، وكما أن الشخصية تختلف باختلاف الأفراد كذلك تختلف باختلاف الشعوب ؛ ففى الشخصية الألمانية تتمثل الروح العسكرية ، والطاعة العمياء ، والاتكال على الحكومة فى كثير من الأشياء . وفى الشخصية الانجليزية تبدو الثقة بالنفس ، واحترام الذات ، وتقدير الحرية الشخصية والاستماتة فى سبيلها . وفى الشخصية الأمريكية تظهر الروح العامة أو « الديموقراطية » ، وعدم الاكتراث للتقاليد ، لأن أمريكا كأمة حديثة لا تقاليد لها . وفى الشخصية الفرنسية تتغلب العاطفة على التفكير ، والنظريات على الأعمال ، وتكثر الآمال ، والميل الى الخيال ، وحب الظهور ؛ فكل فرنسى يريد أن يكون ضابطاً إذا تقدم للحرب . ولا ندرى من أين يؤتى بالجنود إذا كان الجميع ضباطا ، وإذا كانوا ضباطاً فانهم لا يفكرون فى الجنود ولا يحتفظون بهم خوفا من أن يقل احترامهم . والمثل يقال فى العلاقة بين المدرسين والتلاميذ ، فأولئك فى واد ، وهؤلاء فى واد آخر ، والصلة بين هؤلاء وأولئك لا تتجاوز صلة الحجرة الدراسية تزول بمغادرتها وتتجدد بالعودة اليها .

والشخصية صفة نسبية وقوة سرية توجد فى كل شخص الى حد ما ، وتختلف فى نوعها وقوتها باختلاف الأشخاص . وقد تكون بارزة واضحة فى بعض الأفراد يشعر بها الانسان فى الحال ، وقد تكون كامنة خفية فى البعض الآخر .

وليست الشخصية مقصورة على جنس دون آخر . ولا على طبقة دون أخرى ، فكما تكون بين المتعلمين تكون بين غيرهم ، وكما تكون بين المدنيين تكون بين القرويين . وكما تكون بين الرجال تكون بين النساء ، وكما تكون بين الأغنياء تكون بين الفقراء ، ولكل تفكيره وتقاليده وطرقه ومعيشته الخاصة . والعاديون من الناس قد يكونون فى ضنك من العيش ، ولكن لهم شخصية خاصة ، فهم يستطيعون أن يتحدثوا عن الحوادث المحلية ، ويذكروا حقائق قومية ، بروح قوية لا تنقص عن روح الكبار من القوم وقد يمتازون عنهم لأنهم لا يرددون ما يقرءون من أفكار غيرهم ، ولكنهم يصلون الى هذه الحقائق بتفكيرهم الخاص .

« يتبع »

محمد عطية الابراشى

صورة

بغـــير عنوان !

للأستاذ على الطنطاوى

« هذه صورة من صور الحياة ، أعرضها على علاتها فى الرسالة ، ليلحق عليها من شاء من القراء شرحاً وحاشية وتعليقاً . »

ذهبت أمس الى الحلاق ، وتخيرت آخر ساعة من النهار كى يخلو لى المكان ، ولا تعروني نظيرة . . فوجدت عنده شاباً ، وكرهت أن أدخل فأنظره ، وأنا أكره الناس للانتظار ، فهممت بالرجوع . ولكن الحلاق أومأ الىّ أن أدخل ، لن يلبث حتى يقوم فقد أوشك أن ينتهى . فدخلت

وكان الشاب قد انتهى حقاً ، وكان قذاله وعذاره وسالفته مقصوصة ، وكانت لحيته مرجلة مصففة ، وكان وجهه كالمرآة الصقيلة ما فيه (والحمد لله) أثر من لحية أو شارب ! فما باله لا يزال قاعداً على الكرسى ؟ وماذا ترى الحلاق صانعاً به بعدُ ؟ ثم اطمأننت وقلت : قد انتهى وإنه لقائم . وقعدت أرقبه فلم يرعني إلا الحلاق يقبل على شعره فينفشه نفشاً وهو ساكت لا ينكر عليه . . فقلت : لعله قد بدا له ، فأحب أن يقصر من هذا الشعر ، ولن يطول أمد هذا التقصير ، وإنى منتظر .

وتنظرت والحلاق ماضٍ فى عمله ، حتى اذا تم النفش غدا على رأس صاحبنا شجرة ذات فروع . . . فعجبت كيف كان هذا الشعر كله مصففاً مستقراً ، ورثيت له إذ يحمل على رأسه أبد الدهر هذا الحمل الثقيل ، وأعجبنى منه أن يزمع الخلاص منه . . ولكنه لم يقصّه كما قدرت أن يفعل ، بل أشار الى الحلاق

فعمد الى هَنات سوداء لا والله ما عرفتها من قبل وسنّى سنّى ! فأدخلها النار حتى احمرّت ثم أدناها منه ، فأشفقت أن يصيبه منها أذى ، ثم فكرت فقلت : لعلّه مريض يكتوى ، وقديماً قالت العرب : آخر الدواء الـكىّ . ونظرت فاذا هو يقبض على شعره باحدى هناته تلك ، ويديره عليها ، ثم يستلّها منه استلالاً ، ثم يفعل مثل ذلك وأنا أعجب ، حتى انتهى فاذا صاحبنا قد عاد جعد الشعر ، وقد كان سبطا ، فقلت : إنا لله ! رجل أصله من البربر فهو يحب أن يتشبه بأصله ، والتمست له المعاذير .

وحسبته قد انتهى وظننت أنه قائم ، ولـكنه لم يقم بل أشار الى الحلاق . فضمّخ رأسه بماء (كالونيـة)(١) وأقبـل فسرحه تسريحاً ، وعاد فمسحه بدهن استخرجه من حق صغير ، فصار لرأسه وميض ولمعان ، فقلت الحمد لله قد انتهى ، ونزعت عني طربوشي ، ثم أعدته الى رأسي حين لم يقم . ولبثت أنتظر ، وجاء الحلاق بكُمَّة فوضع فيها رأسه وشدها من حوله شداً ، فقلت مُصدَّعٌ متألم فهو يخفف من صُداعه .

* * *

ثم أخذ الحلاق الملقاط ، وعمد الى حاجبيه ، فجعل ينتش منهما نتشاً وأنا أرثى له ، وألح عليه بالنظر ، علّ عينه تقع على عينى ، فأبذل له عونى ونصرتى ، فان هذا الحلاق لا يكاد يرحمه فلا يبصرنى . ثم أدركت الحلاق رحمة فعفا عنه وأبقى عليـه ، فنظرت فاذا حاجباه خطان كأنما خطا بقلم ؛ فقلت سبحان الله أبى فتاة تمطى مثل هذين الحاجبين ثم لا تنزل راضية عن سنين من عمرها .

وفتح الحلاق خريطة فاستخرج منها كُبَّة ، أخذ منها خيطاً لفه بين أصابعه وجعل فى وسطه فرجة تضيق وتتسع كلما شدها أو أرخاها ، وأمرّ هذا الخيط على وجهه ، ووجهه يتمعر ويخيل الىّ أنه يقاسى ألماً شديداً ، ثم كف عنه . فلا والله ما ترك فى جبينه زغبة إلا اجتثّها هذا الخيط .

فقلت : قد انتهى ، ولم يبق فى وجهه ما يذهب به ، إلا أن يكون أنفـه ، فيكون كباغى الجمال بجدع الأنف ، ولـكن سرعان ما خاب ظني فى أنه انتهى . ورأيت الحلاق يدلك وجهه دلـكاً ويقرصه قرصاً ، فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، قد جُنّ الرجل . . وإلاّ فماذا يكون هذا القرص من الحلاق ، ثم كف فنظرت فى وجه الشاب فاذا عليـه حمرة الخجل ، وأنعمت النظر والتفكير فعلمت أنها حمرة الصحة والحياة ، أو حمرة الدلك والقرص ، فهممت أن أقوم اليه فالزمه وأهنئه على هذا الاختراع : يصيب الناس الصحة بالغذاء وبالرياضة ويصيبها هو بالدلك وبالقرص ، ثم تخاذلت ورحت أنظر مشدوهاً الى الحلاق وهو يصبغ وجهه بالأبيض والأحمر ، ورأيتنى لا أطيق احتمال هذا منه وأنا أكره من النساء أن يفعلنه ، وعجبت كيف لا ينكره هو ؟ وكيف لا يغضبه أن يعامل كامرأة .

ولـكنه لم ينكر شيئاً ، بل أشار الى الحلاق ، فجاء باصبع حمراء فمس بها شفتيه كما تفعل قينات السينما سواء بسواء ؛ فلم أستطع المكث بعـد هذا وقمت فجلت فى السوق جولة ، ثم عدت لما فارق الـكرسى .

* * *

وما أدرى بعد كيف أصفه ؟ أأبدأ من رأسه أم من رجليه ؟ أما رأسه فقد عرفت أى شىء هو ! أما صدره وظهره فبادٍ أعلاهما ، وأما ذراعاه فـكشوفان . . ولو أنت عرضـته على الناس بزينته تلك ما عرفوا أرجل هو أم امرأة .

أما (بنطلونه) فأبيض رقيق يبدو ما تحته واضحاً إلا شبراً تستره سراويلات قصار .

* * *

ثم كانت الطامة الـكبرى واقترب منى الشاب يسلم علىّ وزعم أنني أعرفه . .

— أنا أعرفك ؟ كلا . أراك مخطئاً .

— أوه ؟ كيف ؟ أنا تلميذك منـذ كذا سنين فى مدرسة كذا ، وأنا الآن معلم فى المدرسة التى فيها ابنك .

— أنت معلم ؟ !

وندّت مني صرخة تعجب ولم أجب .

دمشق (على الطنطاوى)

(١) كأفريقية وصقلية